الحلقة (٣)

❖ أنواع النظم الإسلامية

سنتناول في هذه الحلقة أنواع النظم الإسلامية التي تشمل أوجه الحياة كلها و سأحاول ذكر هذه النظم تدريجيا.

أولا: النظام العقدي

فمن المعلوم أن كل مجتمع لابد له من عقيدة يرتكز عليها ويؤمن بها، سواء كانت العقيدة مصدرها ديني أو معرفي أو مصدرها أعراف وعادات أو نحو ذلك، لأن الإنسان كائن اعتقادي لابد أن يعتقد حتى وإن كان اعتقاده مستمداً من علوم ومعارف وقواعد معينة، فلا يمكن أن ينفك بحال من الأحوال عن الاعتقاد، ولأن الإسلام جاء لهداية الإنسان ولإصلاحه فكان لابد وأن يأتي بتوجيهات كاملة يتشكل منها تصور عن هذا الوجود وما يحويه من حيث المصدر ومن حيث المصير، إذن لدينا الإنسان دائما يتساءل من أين أتيت؟ وإلى أين أنا ذاهب؟ ولماذا أتيت؟

فكان في الدين إجابة عن هذه الأسئلة، فجاءت الأمور الاعتقادية هي الأساس التي يبنى عليه فكانت بمثابة نظام متكامل يتأسس على الإيمان بالله عز وجل، حيث وجود الله الخالق سبحانه وتعالى، هناك من يجحد وجود الله سبحانه ويحيل على المادة، ثم من حيث الربوبية فالله عز وجل موجد الخلق وربه ومليكه ومُمده، فالإيجاد والإمداد والتصرف له سبحانه، ثم من حيث ألوهيته، معنى ما يقتضيه أولا الكمال الإلهي أنه مستحق للعبادة وحده، وما تقتضيه الربوبية شكر المنعم والتسليم له والأدب معه والرجوع إليه، فإلوهية الله سبحانه والاستعباد له النتيجة الطبيعية لكماله ولربوبيته، ثم من حيث الأسماء والصفات (أسماء الله وصفاته) وأثرها في حياة الإنسان، وما تثمره من خير ونور وهداية وتقى وصلاح واستقامة وتعقل وإدراك للحكمة وسير باستقامة ونحو ذلك، وما يتعلق بالآخرة بالمصير، قبل ذلك ما يتعلق بكيف يعمل الإنسان كيف يؤمن من الناحية العقدية، وما الطريق إلى الإيمان، فتح الأفاق لكي يؤمن الإنسان إيمانا يقينيا باستخدام سمعه وبصره وفؤاده، وتسليماً لله عز وجل في هذا الدين.

فإذن لماذا وكيف وبماذا يؤمن؟ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، لو تأملنا هذه الأركان الستة لوجدناها نظاما، لها نظام وقوام، فإذا قلنا أن الله سبحانه هو الكامل، فمن مقتضى كماله أن يوجه خلقه ولا يتركهم هملاً، ومن مقتضى الحكمة أن يكون هناك مصير يجازى فيه كل الناس الخيّر بالخير والشرير بالشر، ومن مقتضى وصل البشر بربهم وجود من يدلهم على الخير (الأنبياء)، ووجود الصلة بين الغيب والشهادة (الملائكة) الذين يصلون بين الغيب والشهادة، وأيضا وجود النظام الذي تنتظم الحياة في ضوئه (الإيمان بالقدر خيره وشره).

وجدنا أن النظام العقدي هو تعبير عن الحقيقة أو عن حقيقة الوجود بنظرة منطقية عقلانية، هذا الذي جاء به الشرع والمتفق مع العقل الصريح، فهو الموافق للفطرة والموافق لمقتضى الحس المتجرد من الهوى، والعقل المتجرد من الهوى إذا سلمت أساسا بأن هناك إله كامل وأنه هو الموجد للخلق وهو المدبر لهم فلابد أن تسلم بهذه الأركان لأنها المعبرة عن هذا التواصل أو هذه الصلة بين الله و بين خلقه وهي مقتضى عدالته وكماله، فهكذا يتضح أن العقيدة نظام في الإسلام وليست شيئا مفرّقا ولا مجموعة من القضايا المشتتة، إنما هي منتظمة للحياة كلها بحيث يكون الإنسان في كل عمل يعمله مؤسس على ما يعتقده، مسلم الوجه لله عز وجل فيما يأتي ويذر، فهذا هو إذن الجانب العقدي، ذكر ما يتصل بالجانب الغيبي ابتداء بالذات الإلهية، وما يتصل بها من هذه الأركان المذكورة، وما يكون في يوم القيامة من الأمور الأخرى ومن الجنة والنار وغيرها مما هو مشمول في اليوم الآخر، جاء ذكره تفصيلا، ولكن كله متصل باليوم الآخر، واليوم الآخر متصل بالإيمان بالله، فهكذا يتضح لنا كيف أن العقيدة نظام وليست شيئا مفرقا ولا مفككا، هذا نظام العقيدة الذي يعتبر الأساس الذي يبنى عليه كل نظام آخر في الإسلام.

ثانيا: نظام العبادة

العبادة نقصد هنا: العبادة الخاصة أو الشعائر التي أمر الدين بإقامتها، لأن العبادة في الإسلام وكما تقدم في برنامج الدورة التأهيلية أن العبادة لها معنى خاص وعام.

وإنها **بالمعنى العام تشمل**:حياة الإنسان كلها حينما تتفق مع مرضاة الله، كسبه وتجارته وبيعه وشرائه وحركته وزواجه وصلته لرحمه وسيره في الأرض.

كلها داخلة في العبادة بالمعنى العام لأنه حيثما ما كان العمل موافقا للدين ومرضاة الله كان عبادة وإن لم يقصد الإنسان بها، قال النبي صلى الله عليه وسلم (**وفي بضع أحدكم صدقة**) فاستغرب الأصحاب رضي الله عنهم من هذه الكلمة وقالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له أجر" الأمر طبيعي أن يأتي الإنسان شهوته سواء كان له أجر أم لا، سيأتي هذه القضية فقال حتى يبين لهم أن القضية ليست فيما جاء فيه حكم أعمل كذا أو لا تعمل كذا، ولكن ما اندرج تحت هذا الحكم فله حكمه، فالله عز وجل قد شرع الزواج، فما اندرج تحت الزواج فالإنسان فيه مأجور، والزواج إذا أجريته وفق سنة الله ورسوله مأجور أنت فيه، وإذا لم تجره عليه فأنت مأزور، فحتى يبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم أن التصرفات البشرية الدنيوية المعاشية مندرجة في دين الله ومثاب الإنسان عليها حتى وإن لم ينوِ هذا الشيء، فقال لما استغربوا وتساءلوا: (**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟" قالوا: نعم، فقال: "فكذلك إذا وضعها في الحلال**) فإذن الحلال والحرام شامل لكل ما في الحياة، فما اندرج تحت الحلال فالإنسان مأجور عليه وإن لم تدخل النية في ذلك، الإنسان يذهب إذا بيته

فيأكل، إذا كان أكله حلال فهو مأجور، يذهب ويشتري لامرأته ملابس، ما دام أن هذا لامرأته وأولاده فهو مأجور ونحو ذلك، على كل لا نتوسع وننطلق في مفهوم العبادة العامة إنما أردت الإشارة.

وما نقصده بنظام العبادة نقصد نظام العبادة الخاصة، أي نظام التعبد لله سبحانه بالشعائر التي شرعها

فأركان الإسلام خمسة:(شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله اعتقاداً وقولاً) والعمل بالإسلام عمل بها، ولكن العمل الذي يتفرع عليها مباشرة هو ذكر الله، ولذلك كان الذكر أعظم أعمال العباد وأفضلها،

(ألا أخبركم بأفضل أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأفضل لكم من إنفاق الورق الذهب والفضة، وأفضل لكم من أن تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم"، قالوا: بلى يارسول الله، قال: "ذكر الله) .

⟐**فالشاهد**: أن الشهادتين يتفرع عليها ذكر الله عمليا، ثم لدينا الصلاة والزكاة والصوم و الحج، الشعائر الأربع الأساسية في الإسلام، وهذا الشعائر نجد أن تربط بين الدين والدنيا، بين الاجتماع والمنافع وذكر الله.

فالصلاة مثلا اجتماع وفي نفس الوقت صلة بالله سبحانه،

الزكاة تطهير للمال وللشخص ولكنها إنفاق على المجتمع،

الصوم في ذات الإنسان ولكنه كسر لشهواته وحد لأهوائه وأطماعه ورغباته وفتح للأفاق الرحبة والمشاعر الإنسانية في قلبه،

والحج اجتمعت فيه العبادات كلها ذكر الله والصلاة ما عدا الصوم إلا لمن اضطر إليه كمن كان عليه فدية ولم يجد، فيه هذه العبادات جمع بين العبادة المالية والبدنية والقلبية، المهم أن هذه الشعائر انتظمت كلها لكي تحقق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فانتظمها الإيمان وجعل لها نظاما تمحورت حوله الذي هو ذكر الله.

فما شرعت هذه العبادات إلا لكي يذكر الله فلا ينسى، ومن ذكره إفاضة الخير على عباده لأن كما ورد (الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله)، فالخلق يعولهم الله بنعمته وبفضله وكرمه، ومن كان مسارعا إلى نفع الخلق كان محبوبا إلى الله عز وجل، فهذا هو إذن نظام العبادة، هذه الشعائر وكل شعيرة منها يتفرع عليها شعائر نافلة.

فمثلاً: **الصلاة**: الركن الثاني في الإسلام يتفرع عليها: صلوات النوافل كالسنن الرواتب وسنة الضحى وقيام الليل وما شاء الإنسان من التنفل بالصلوات في غير أوقات النهي ونحو ذلك .

الزكاة : يتفرع عليها الصدقة بشتى أنواعها .

والصيام: يتفرع عليه صيام التطوع بأنواعه كصيام الست وصيام أيام البيض وصيام عشر ذي الحجة ومن محرم العاشر ويوما قبله أويوما بعده و صيام التطوع أيا كان وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم (أفضل الصيام صيام داود صيام يوم وإفطار يوم) وغير ذلك من أنواع الصيام التي تتفرع على صيام الركن.

ثم **الحج** : الواجب وما يتفرع عليه:من حج تطوعي ومن عمرة، فإذن كل شعيرة واجبة تتفرع عليها شعائر أخرى، وكل شعيرة إذا نظرنا فيها هي عبارة عن نظام متكامل، مثلا الصوم يبدأ من طلوع الفجر إلى الغروب لابد أن تنتظمه أخلاقيات خاصة، إضافة إلى ما ينبغي أن يلتزم به الإنسان دائما ولكن يؤكد عليها في الصيام لأنه إن لم يفعلها كان لا قيمة للصيام فقد قيمته وهدرها بالإضافة إلى الإثم الذي يترتب عليه، الحج نظام والزكاة نظام وهكذا ولكنها أيضا تنتظم في نظام العبادة أنها كلها في نظام العبادة العملية لله سبحانه.

❖ **ثالثا: النظام الأسري**: الأسرة هي أساس المجتمع، كل مجتمع يتكون من أسر، سواء كانت الأسرة الصغيرة المفردة التي تتكون من الزوج وزوجته وأولادهما، أو الأسر الكبيرة التي تتكون مثلا من الجد وأولاده وأحفاده ونحو ذلك مما كان معهودا في المجتمعات البسيطة كالأرياف ونحوها، عادة نجد أن الأسرة كما يسميها علماء الاجتماع الأسرة الممتدة أو الأسرة النووية أو المفردة، أيا كان فهي أساس المجتمع، ولذلك كان لها نظام ينظمها في بنائها، كيف تبنى ومم تبنى الأسرة؟ وما الحقوق والواجبات فيها لكل طرف من أطرافها؟ كيف ينبغي أن تسير العلاقات في داخلها وخارجها؟ ما الواجبات والحقوق التي لكل فرد من أفرادها على الآخر؟ كيف ينبغي أن تتم العشرة الحسنة فيما بينهم؟ كيف ينبغي أن يكون البر من قبل الأبناء للآباء؟ وكيف تكون الرحمة من قبل الآباء للأبناء؟ حينما نقول الآباء تغليبا ولكن المقصود الوالدين، فهنا إذن الأسرة جاءت التشريعات والتوجيهات لكي توجهها بنظام متكامل، من توجيهات تتعلق ببنائها وعلاقاتها داخلا وخارجا، توجيهات تتعلق بطريقتها في التصرفات، تتعلق بتعاونها، إلى آخره، أيضا بتفكيكها ونهايتها، ليس فقط بالبناء وإنما حتى بالتفكيك يأتي بنظام، شرع الله سبحانه له نظاما إذ أن الأسرة في نزاعها أولا نظام، كيف يرفع النزاع إذا حدث، ثم إذا استحكم النزاع ولم يكن بد من نقض البناء كيف ينقض، فشرع الإسلام تشريعات متنوعة للأسرة وأداء وتصرفات، سواء من البداية إلى النهاية.

قد يكون شيئا من تفكك الأسرة جاء مثلا من وفاة عائلها، فهنا أيضا يوجد نظام التوارث كيف سيكون هذا التوارث؟ وكيف سيكون التراضي فيه؟ نظام إفاضة الأسرة ما لديها من خير على الآخرين، مثلا إفاضة رب الأسرة إذا أراد أن يفيض مما أعطاه الله على الآخرين له أن يفيض فأعطاه الإسلام حظا أو جزءًا من ماله له أن يتصرف فيه دون ورثته مثلا، كالوصايا والوقف ونحو ذلك، هكذا

إذن جاءت الصلة منظمة في داخل الأسرة المفردة والممتدة مما سمي بصلة الرحم أو علاقات ذوي الأرحام، وهذه من القيم الجميلة التي نجدها في الأديان بعامة وفي الدين الإسلامي بخاصة، وللأسف بدأت علاقات الأرحام تضعف مع المدنية الحديثة، لأنها جاءت بالتعويض عن جانب منها، فمما كان يشد الأرحام بعضهم إلى بعض التآزر والتعاون على شؤون الحياة، وقد عزز الإسلام هذا في ذوي الأرحام فربطهم ببعض فقال { أُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} فهناك رابطة الإيمان ولكن رابطة القربى معتبرة في الشرع ولكن القربى بالحق وليس بالظلم والهوى والتجاوز على حقوق الآخرين، فهي مراعاة، والإنسان الذي ينفق في رحمه أولى من أن ينفقه في الأبعدين بشرط أن يكون الرحم مستحقا، ولذلك لما نزلت الآية { لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ }

جاء أبو طلحة إلى النبي فقال : **يا رسول الله إن بيرحاء هي من أحب مالي وقد جعلتها لك يا رسول الله تجعلها حيث تشاء**، هذا من تسابق الصحابة في محبة الله وفي نيل مرضاته فقال (بخ بخ، مال رابح اجعلها في الأقربين)، فتوجيه النبي أن يجعلها في الأقربين فيه حكمة عظيمة، لأن الأقربين لو لم ينالوا من خير قريبهم لجاء في أنفسهم، كيف ينال البعيد ولم ينل القريب، لا سيما إن كان محتاجا، فهو سد خلة هذا القريب وحاجته وفي نفس الوقت دفع ما بنفسه مما قد يأتي من ضيق أو من أحقاد على الآخرين الذين نالوا هذا الحق الذي هو أولى في نظره به، فالقريب يرى أنه أولى بقريبه، فالشاهد أن من ضمن ما نظمه الإسلام علاقة القربى التي تتسع بالأرحام لتشمل كل أرحام الإنسان.

❖ رابعا: النظام الخلقي

نأتي عليه بسرعة قبل نهاية الحلقة، هو كل إنسان لديه خلق سواء طيب أو سيء فالخلق الجانب الباطن من الإنسان، النبي لما سألوه، من أكرم الناس؟ قال: (ابن الأكرمين أو الكريم ابن الكريم) يقصد يوسف بن يعقوب عليه السلام قالوا: ليس عن هذا نسألك، ثم ما زالوا به فلما أدرك مرادهم من السؤال أجابهم، وربما يكون النبي أراد نقلهم من معنى لمعنى لأن كل سؤال لا بد أن تحدد مرادك منه حتى أجيبك، كأنه يعلمهم إنهم حينما يريدون أن يسألوا أن يحددوا مرادهم بدقة وهذا من الأشياء المفيدة للاجتماع والإنسان، أنك إذا أردت أن تسأل حدد مرادك حتى يجيبك من تسأله ولا تختلط الأفهام، فكثير من الاختلاط و الحوارات تتعقد بسبب عدم وضوح المرادات، فكلما كان المراد واضحا كلما كانت الإجابة أسرع، فلذلك لما أوضحوا مرادهم وكأن النبي ينقلهم من حال إلى حال حتى يعرفوا كيف يدققوا في طرح السؤال ويفصحوا عن المراد قال: (الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) لابد أن يرتبط مع خيار المعدن فقهاً حتى يكون الإنسان فائقا، إذن الإسلام جاء بنظام لهذه المعادن التي عند الإنسان أو المعدن الإنساني.